

التبيان في تفسير القرآن

(214) وقطعه عن الاول. الباكون بالنصب عطفًا على اسم (أن). يقول ا [تعالٰى لنبيه (صلى ا [عليه وآله) يا محمد واذكر حين قال ا [تعالٰى " للملائكة اسجدوا لآدم " أي أمرهم بالسجود له، وانهم سجدوا له بأجمعهم إلا إبليس وقد بينا - فيما تقدم - أن أمر ا [تعالٰى للملائكة بالسجود لآدم يدل على تفضيله عليهم، وإن كان السجود [تعالٰى لا لآدم، لان السجود عبادة، لا يجوز أن يفعل إلا [، فأما الخلوقات فلا تستحق شيئًا من العبادة بحال، لان العبادة تستحق بأصول النعم وبقدر من النعم لا يوازئها نعمة منعم. وقال قوم: ان سجد الملائكة لآدم كان كما يسجد إلى جهة الكعبة - وهو قول الجبائي - والصحيح الاول، لان التعظيم الذي هو في أعلى المراتب حاصل [لا لآدم باسجاد الملائكة له. ولو لم يكن الامر على ما قلناه من أن في ذلك تفضيلا لآدم عليهم، لما كان لامتناع إبليس من السجود له وجه، و لما كان لقوله " أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين " (1) وجه. فلما احتج إبليس بأنه أفضل من آدم - وان خطأ في الاحتجاج - علمنا أن موضوع الامر بالسجود لآدم على جهة التفضيل، وإلا كان يقول ا [لابليس: إني ما فضلت على من أمرته بالسجود لآدم وإنما السجود لي، وهو بمنزلة القبلة، فلا ينبغي أن تانف من ذلك. وقد بينا أن الظاهر - في روايات أصحابنا - أن إبليس كان من جملة الملائكة وهو المشهور - في قول ابن عباس - وذكره البلخي - فعلى هذا يكون استثناء إبليس من جملة الملائكة استثناء متصلًا. ومن قال: إن إبليس لم يكن من جملة الملائكة قال: هو استثناء منقطع، وانما جاز ذلك، لانه كان مأمورا ايضا بالسجود له، فاستثنى على المعنى دون اللفظ، كما يقال: خرج أصحاب الامير إلا الامير، وكما قال عنتر

(1) سورة 7 الاعراف آية 11 (*)